ORTHODOX LEGACY

التراث الأرثوذكسي

العدد السابع، تموز ٢٠٢٦ | السنة الثانية والعشرون

العناوين

لماذا يقول الإنجيل إنَّ "الله أقام يسوع" بينما لا نقول ذلك في الكنيسة؟

الخورية د. جيني كونستانتينو

نحن لا نصبر لأنّه لا محبّة فينا

الأم سلوانا (ڤلاد)

لأنَّ الوقت قريبٌ... سلسلة تفسير سفر الرؤيا، الجزء الثاني (ب)

المتروبوليت أثناسيوس (ليماسول)

الطريقة الأرثوذكسيّة الحقيقيّة الوحيدة لمواجهة البِدَع التي تُهدّد إيماننا

الأرشمندريت نيكن من الجبل المقدّس

الأيّام الأخيرة للقدّيس صفروني ورقاده

الأرشمندريت زخريا (زاخارو)

ISSN 1814-7038

لماذا يقول الإنجيل إنَّ "اللهَ أقام يسوع" بينما لا نقول ذلك في الكنيسة؟

الخورية د. جيني كونستانتينو

السؤال: ذكرتِ في البودكاست الّذي تقدّمينه أنّنا لا نقول إنَّ "اللهَ أقام يسوع" مع أنَّ هذه العبارة مذكورةٌ في الإنجيل. لقد ترعرعتُ في بيئةٍ تُعلِّم أنّ "اللهَ أقام يسوع" وأنّ يسوع وضعَ نفسه حتَّى الموت. فسَّرَ المتروبوليت [يروثيوس] فلاخوس ذلك بالقول إنَّ المسيح أقام جسده بوساطة ألوهيّته.

الجواب: شكرًا لسؤالك. لم أكن قد سمعتُ قطُّ بعبارة "اللهَ أقام يسوع" إلى أنْ تابعتُ دروسَ اللّاهوت في الجامعة. كان وقعُ ذلك غريبًا جدًّا عليَّ كمسيحيَّةٍ أرثوذكسيَّة. إنَّه تعبيرٌ كتابيّ لكنَّنا لا نقول ذلك مطلقًا، مع أنَّ الكثير من مسيحيّي الغرب يفعلون. هو تعبيرٌ قديمٌ نجده في سفر أعمال الرُّسل، عندما بدأ الرسُل يُبشّرون بقيامة المسيح. واستخدمَه بولس الرسول أيضًا. في الكنيسة الأرثوذكسيَّة، نقولُ إنَّ "المسيح قام من بين الأموات"، مُشدِّدين على قدرته الإلهيّة. ربَّما لا نقول إنَّ "اللهَ أقام يسوع" لأنَّ ذلك يوحي بأنَّ المسيح لم يكن بمقدوره أن يقوم بذاتِ سُلطانه، أو ربّما لم يفعل ذلك. يُمكنك أن تُدرك كيف يمكن أن يستخدم الهراطقة تعبير "اللهَ أقام يسوع" حجّةً ضدّ ألوهيّة المسيح التامّة.

لقد أعلنَ المسيح جهارًا: "لي سلطانٌ أن أضعَها ولي سلطانٌ أن آخذَها أيضًا" (يوحنّا 10: 18). إذًا، يتّضحُ من الكتاب المقدّس أنَّه كان لديه سلطانٌ أن يقوم من بين الأموات، وأنّه لم يكن بحاجةٍ إلى "معونة" الآب. ونعلَمُ أنَّ المسيح إلهٌ تامٌّ مساوٍ للآب. وما قاله المتروبوليت [يروثيوس] فلاخوس صحيحٌ بالطبع، وأنا لا أخالفُه الرأي في تفسيره أنّ المسيح أقام جسدَه بألوهيَّته. غير أنّ التعبير شديد الوضوح، فهو لا يقول إنَّ "المسيح أقام نفسه بألوهيَّته" –مع أنَّ الأمر كذلك– بل يقول إنَّ "اللهَ أقام يسوع". وبالتالي، لا بدَّ من وجود سببٍ يُعلِّلُ استخدام الرُّسل هذا التعبير حول المسيح والقيامة. ثمّة تفسيرٌ أفضل يستند إلى السياقَين الأدبيّ والتاريخيّ.

السِّياق هو المفتاح لفهم مبرِّر هذا التعبير

أظنُّ أنَّ الإجابة البسيطة عن سبب قول القدّيسَين بطرس (أعمال 2: 24) وبولس (رومية 8: 11) إنَّ "الله أقام يسوع"، وهو ما يمكن أن نلمسه بسهولةٍ من السِّياق، [هي كالتالي]: كان القدّيس بطرس يُبشّر اليهود في أورشليم بعد أسابيع من الصَّلب، وكان ذلك يوم العنصرة فعليًّا. كان مفادُ رسالته أنَّ يسوع هو المسيح، وكان الجميع يعلمون أنَّه قد صُلِب. بالنسبة إلى كلِّ مَن عاش في العالم القديم، لم يكُن يهمُّ ما إذا كان المسؤولون عن صَلبِه هم الرومان أم اليهود. وفي الفِكر اليهوديّ، كان سماحُ الله بصَلبِ يسوع سببًا قاطعًا لنفيِ أهليَّته لأن يكون المسيَّا. كان الصَّلبُ عقوبةً مُريعةً ومُخزيةً إلى درجةٍ بالغةٍ جعلت اليهودَ يفترضون أنَّه علامةٌ على أنَّ الله قد لعنَ يسوع. وكان الصليب "برهانًا" على أنَّ الله قد رذله، وأنَّه من غير الممكن أن يكون هو المسيَّا (وإلى اليوم، ما زال هذا السببَ الرئيس لعدم إيمان اليهود بأنَّ يسوع هو المسيح). كلَّما كان الرسل يكرزون بالمسيح لليهود،كانوا يُقرُّون بأنَّه قد صُلِبَ (حتّى إنَّ بطرس قال "يسوع هذا... أنتُم صلبتموه..." أعمال 2: 23). ثمَّ كانوا يُضيفون مباشرةً قائلين: "ولكنَّ الله أقامَ يسوع من الموت". إذًا، قال الرسل ذلك ليُظهِروا أنَّه على الرَّغم من أنّ يسوع قد ماتَ على الصليب، فالله لم يرذله. ربّما رذلَ رؤساءُ اليهود مسيحَهم، لكنَّ الله لم يرذله.

هذه كانت اللُّغة الّتي استخدمتها الكنيسة الأولى، لأنَّ الرُّسل كانوا يكرزون لليهود أوَّلًا ثمّ للوثنيِّين. نحن معتادون على فكرة صلب المسيح؛ وأمَّا في تلك الأيّام، فكان الجميعُ يعتقدون أنَّ الموت على الصليب هو دلالةٌ على أنَّ ذاك الإنسان كان ملعونًا من الله –أو "الآلهة"– الّذي رذله بالكلّيّة. وإذا أصابَ أمرٌ فظيعٌ شخصًا ما، كان الناس يفترضون أنَّه عقابٌ إلهيّ. لذا فإنَّ الغاية من القول إنَّ "الله أقام يسوع" كانت إظهارَ أنَّ المسيح لم يكن ملعونًا من الله، بل بالأحرى برّره الله وأيّده في الواقع. وصلب يسوع لم يحرمه من أن يكون هو المسيّا أو الربّ.

نقلتها إلى العربيّة أسرة التراث الأرثوذكسيّ

Source: Dr. Jeannie Constantinou's Newsletter *"Thinking Orthodox"*, "Why Does the Bible Say 'God Raised Jesus' But We Don't Say That in Church?", May 2026.

نحن لا نصبر لأنّه لا محبّة فينا

الأم سلوانا (قلاد)

لن نستطيع الوصول إلى الله، وإلى شبه الله، وإلى الفرح الّذي نتوق إليه، ما لم نُنَمِّ صبرنا.

يُميّز الأب دوميترو ستانيلواي بين ثلاثة أنواعٍ من المحبّة: **المحبّة الطبيعيّة العاديّة**، أي محبّة الإنسان الساقط، الإنسان النفسانيّ؛ و**المحبّة المسيحيّة**، أي محبّة المسيحيّ الّذي يعيش في شركةٍ مع المسيح ومع أعضاء الكنيسة الآخرين؛ و**محبّة الله**، الّتي هي قدرته، وقوّته، وهي الله نفسه الّذي هو المحبّة والّذي يبذلُ نفسه من أجلي أنا أيضًا. وبناءً على ذلك، يمكنني -في مراحل وجودي المختلفة- أن أُحبَّ بهذه الطرائق الثلاث: بمشيئتي الطَّوعية في النَّوعين الأوَّلين، وبتآزر مشيئة الله مع مشيئتي لقَبول قوّته في النَّوع الثالث.

إنّ **المحبّة الطبيعيّة العاديّة النفسانيّة** هي قوّةٌ تتفعّل عند وجود مصلحة، وعندما نريد أن نُحِبّ، وعندما نملك دافعًا للمحبّة. وبذلك، تكون محبّةً أنانيّةً تُحرّكها رغبات "الأنا" وإرادته لدى الإنسان السَّاقط. فنحن عادةً ما نُحبُّ شخصًا ما عندما نستمتعُ بما يفعله من أجلنا، ونتوقّفُ عن المحبّة عندما لا يُعجبنا ما يقوم به من أجلنا. ونحن متفاوتون للغاية في هذا الشّأن: فبعض الناس أكثر قدرةً على المحبّة، وآخرون أقلُّ قدرةً عليها. وثمّة مَن يُحبّون إلى حدِّ التضحية بأنفسهم، لكنّ هذا يظلُّ شكلًا نفسانيًّا من أشكال المحبّة. فقد يُضحّون بأنفسهم بدافع الكبرياء، أو لذّة التميُّز والظُّهور، أو الشُّعور بالرِّضا لكونهم مُحبّين؛ ولذا فهذا لا يعني بالضَّرورة أنّهم تجاوزوا المحبّة الطبيعيّة.

للمحبّة الطبيعيّة مراحلُ مختلفة، تعتمدُ أيضًا على تربية كلّ شخص، لأنّ هذه الطاقات الّتي وضعها الله فينا تتطوّر بمؤازرة إرادتنا، وأيضًا بمساعدة مَن هم أكبر منّا سنًّا - أولئك الّذين ربّونا، أولئك الّذين علّمونا.

إذا نَشَأَ الناسُ في روح المحبّة، وإذا غُمِروا بالمحبّة وبودِلوا بها عندما عبّروا عن محبَّتهم، وإذا تعلّموا كيف يُفَعِّلون محبّتهم، فسيكون هؤلاء الناس أكثر قدرةً على المحبّة. أمّا الأشخاص الّذين جُرِحوا، أو أُهمِلوا، أو وُبِّخوا، أو أُسيء إليهم، فإنّهم يتوقون إلى المحبّة ويرغبون فيها، لأنّ ثمّة تَوْقًا إلى المحبّة في داخل كلّ إنسان

- لكنّهم يعجزون عن تقديم المحبّة. علاوةً على ذلك، ومع مرور الوقت، فإنَّهم حتّى لو تلقَّوا المحبّة من كثيرين حولهم سيَفشلون في إدراكها، ولن يُصدّقوا أنّها محبّة لأنّهم لا يعرفون ما هي المحبّة ولا يقدرون على تمييزها.

إذًا، هذه هي المرحلة الأدنى - مرحلة المحبّة الطبيعيّة، المحبّة النفسانيّة، المحبّة الّتي لا تُفَعِّلُها نعمة الله.

أمّا **المحبّة المسيحيّة** فهي قدرة الناس على بذلِ ذواتهم من أجل الآخرين، وعلى اقتبال الآخرين في داخل نفوسهم؛ إنّها قدرة الناس على المحبّة، وتكون هذه القدرة مدفوعةً من إرادتهم ومُفعَّلةً من نعمة الله في الوقت عينه. عندما ألاحظُ أنّني لا أستطيع أن أحبّ إذا كنتُ أشعر بالضَّجر أو إذا لم تمنحني المحبَّة إحساسًا بالرِّضا، أُدركُ حينها أنّ هذا شكلٌ سقيمٌ من أشكال المحبّة، وأُصلّي إلى الله لكي يشفيني. لقد صار إنسانًا، ومات، وقام، وصعد إلى السَّموات، ووهبَ لنا نعمته وجسده ودمه، نعمته الكاملة في الروح القدس، حتّى نتمكّن من اقتبال محبّته -قوّته هذه- لكي نُفَعِّلَ محبّتنا بمؤازرة هذه القوّة.

هذه المحبّة هي المحبّة الّتي وصفَها القدّيس الرسول بولس في الإصحاح 13 من رسالته الأولى إلى كورنثوس: المحبّة الّتي تحتملُ كلّ شيء، المحبّة الّتي لا تطلبُ ما لنفسها. اقرأوا هذا النشيد كلّ يوم، ولْنتحسَّرْ على أنّنا لم نُصبح مسيحيّين بعدُ من منظور المحبّة. غير أنّنا نريد أن نكون كذلك! في كلّ مرّةٍ نقرأ فيها هذا النشيد أو نسمعه تقفز قلوبُنا فرَحًا، لأنّ هذه هي الكرامة الّتي دُعينا إليها.

المحبّة الإلهيّة هي عندما يتقدّسُ الإنسان ويقول: «فَأَحْيَا لَا أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ» (غلاطية 2: 20)

وللمحبّة المسيحيّة عدّة مراحل. انطلاقًا من محبّتنا للمسيح، ومن أجله، نكفُّ عن الصُّراخ في وجه الآخرين، ونكفُّ عن جَرحهم، ونكفُّ عن إيذائهم. نفعلُ هذا لأنّنا نحبُّ المسيح، ولأنّنا شعرنا بمحبّته، ونُريد أن نستجيبَ لها. وهكذا، فإنّ هذا التَّوق إليه وإلى حضوره يُفَعِّلُ محبّتنا ويجعلُنا مُحبّين أيضًا. ثمّ ننمو، ننمو حتّى نَصِلَ إلى أعلى مستويات المحبّة المسيحيّة، وهي محبّة الأعداء. أمّا ما يأتي بعد ذلك، أي المحبّة الإلهيّة، فالقدّيسون هُم مَن سيُنيرونَ بصيرتنا بخصوصها حينئذٍ.

والآن فلنتكلّم على **الصَّبر**. المحبّة تتأنّى، المحبّة «تحتملُ كلَّ شيء» (1 كورنثوس 13: 7). فما هو الصّبر؟ الصّبر فضيلة، أي أنّه قوّةٌ وهبَها لنا الله لنكون على مثاله. الفضائل هي قوى -مثل قوّة المحبّة- يمنحُنا إيّاها الله عند الخلق كقدراتٍ كامنة، ثمّ نُفَعِّلُها بنعمته.

إنّ علاقة المحبّة هذه بيننا وبين الله لها مظهران: أحدُهما يُسمّى العناية، والآخر يُسمّى الدّينونة.

فالله، مِن خلال **عنايته**، يُربّينا ويقودنا إلى التشبُّه به، وإلى الفرح الّذي وعدَنا به والّذي دُعينا إلى المساهمة فيه. يدعونا عبر تعزيتنا، من خلال الأحداث المؤاتية ومدّ يد العون لنا في أوقات الضيق عندما نطلبه. هذه هي العناية الإلهيّة، إنّها مساعدةٌ إيجابيّةٌ إذا جازَ التعبير.

والجانب الآخر من محبّة الله هو **الدَّينونة**، الّتي من خلالها يُحبُّني الله ويعمل معي عبر الأحزان والآلام والأحداث غير السارّة. هذا لا يعني أنّه هو مَن يُرسل إليّ الأحزان، بل أنّه يُعلّمني ويمنحُني القوّة لأعرفَ ذاتي وأدرك عجزي عن المحبّة، وأتوب وأرجع إليه من خلال تلك الأحزان. إذًا، هذه هي الدّينونة.

الصّبر هو قدرةُ الإنسان على احتمالِ الأمور غير السارّة. ومن خلال هذا الصّبر نشفي نفوسَنا من أهواءِ الجزء الغضبيّ من النفس.

لدينا قوّتان في النّفس تُسمَّيان بالقوّتين المرتبطتَين بالأهواء: القوّة **الشهوانيّة** (أو الرغائبيّة)، والقوّة **الغضبيّة** (أو الحميّة عندما تُستخدَمُ استخدامًا صحيحًا). بالقوّة الشهوانيّة، نبحثُ عن اللّذّة، وعمّا يمنحُنا المتعة - وهذه هي رغباتنا الأهوائيّة. أمّا القوّة الشهوانيّة السليمة فهي أن نشتهي الله وكلّ الصالحات الّتي نختبرها في حضرته.

والجانب الآخر، البُعد الآخر لنفسنا هو القوّة الغضبيّة - وتُسمّى أيضًا الغضب. إنّها القدرة والقوّة على رفضِ الشرّ. لقد منحَنا الله هذه القوّة لنرفضَ بها الشرّ؛ فعندما خلقَ الله آدمَ في جنّة عدن، كان الشرُّ موجودًا، وكان الملاكُ الساقطُ شرّيرًا بالفعل ومستعدًّا لتجربة الإنسان أو محاولة إيذائه. وكان الإنسان يملكُ هذه القوّة الغضبيّة ليرفض بها الشرّ.

وفي الوقت عينه، تساعدُنا القوّة الغضبيّة أيضًا على تعزيز رغباتنا، وتمنحُنا الحميّة. قد أرغب في القيام بأمرٍ ما، لكنّي لا أملكُ حماسًا، لا طاقة لديَّ، فتكون القوّة الغضبيّة هي الطاقة الّتي أحتاجُ إليها لدعمِ رغباتي.

بناءً على ذلك، الصبر هو الفضيلة الّتي من خلالها أشفي نفسي، أنا الإنسان، من أهواء قوّتي الغضبيّة وأمراضها، وهي الغضب والحزن، اللّذين تتفرّعُ منهما خطايا وأهواءٌ كثيرة أخرى. إنّنا نشفي أنفسَنا من هذه الأهواء بالصّبر.

لا نستطيع الوصول إلى الله، وإلى شبه الله، وإلى الفرح الّذي نتوقُ إليه، ما لم نُنَمِّ صبرنا، وما لم نحبّ تربية الله الّتي هي دينونته، وما لم نحبّ الألم الّذي يمتحنُ الله بوساطته كلَّ واحدٍ منّا ويمنحُنا الفرصة لنعرفَ ذواتنا، ولنرى كم نحن قريبون أو بعيدون عن الله، ولندرك ماذا نريد حقًّا: أعطايا الله أم الله نفسه؟ وحينها نعرفُ أنفسَنا من خلال هذا الألم، ونُقوِّم مسارَنا إذا كنّا حقًّا نبتغي الله وفرحه.

وهكذا، فإنّ المحبّة تحتملُ كلّ شيء. لم نكن لنملك القدرة على الاحتمال لو لم تكن لدينا المحبّة. عندما لا نطيقُ سماع بكاء طفلٍ، أو عندما يفعلُ شخصٌ ما شيئًا لا يُعجبنا، أو عندما يُسيءُ إلينا أحدٌ، فهذا يعني أنّنا لا نملك المحبّة. ودَعكُم من عدم امتلاكنا المحبّة تجاه أعدائنا، ثمّة لحظاتٌ بل وأيّامٌ نفتقر فيها إلى المحبّة تجاه أولادنا، الّذين بوسعنا أن نُضحّي بحياتنا من أجلهم عندما نكونُ في كاملِ وعينا واتّزاننا. نفتقر إلى الصّبر ولذا لا نحبُّ أمّهاتنا والأشخاص الأعزّاء على قلوبنا. نحبُّهم ونبكي عليهم إن فقدناهم، لكنّنا لا نملك المحبّة لأنّنا لا نصبر على ضعفاتِهم. ولا نصبر لأن لا محبّة فينا. كما ترون، إنّها حلقةٌ مفرَغة.

ولذا، علينا أن نُعنى بهذه الفجوة الّتي في داخلنا، وأن نملأها ونُغذّي قدرتنا هذه بنعمة الله وقوّته. فبِخلاف ذلك، لن نملك أيَّ شيءٍ لنُقدّمه.

نقلتها إلى العربيّة أسرة التراث الأرثوذكسيّ

Source: Mother Siluana Vlad (2020). “We don't have patience because we don't have love”, in *Sayings of the Romanian Elders*. Retrieved online from Substack.

لأنَّ الوقت قريبٌ...

سلسلة تفسير سفر الرؤيا، الجزء الثاني (ب)

المتروبوليت أثناسيوس (ليماسول)

يمكننا أن نكون أكيدين تمامًا في ما يخصُّ مسائل الإيمان التي تُنقَلُ إلينا من خلال كلمة اللّه، بوساطة الكتاب المقدَّس. فما دام اللّه هو مَن يقول ذلك، والإنجيل يقول ذلك، والمسيح يقول ذلك، نحن لا نناقش الأمر. "تحبُّ الربَّ إلَهك" (متّى 12: 30) – لستُ أنا مَن يقول ذلك، بل اللّه. قد أُخطِئ أنا في ما أقول، ويمكنكم مجادلتي. أنا إنسانٌ، ومن المرجَّح أن أخطئ. علينا جميعًا أن نُقرَّ بأنَّنا نرتكب الأخطاء. ولا تتفاجأوا حين يرتكب أحدُهم خطأً ما، لا شيء مفاجئٌ في ذلك. فالطبيعة البشريّة غير مثاليّة، لذا فإنَّ مِن سماتها ارتكاب الأخطاء والهفوات والوقوع في الخطيئة.

يمكن تمييز عبيد اللّه الحقيقيّين من نقاوة قلبهم وتواضعهم (ختمُ الحقيقة هو التواضع). وعندها يقبل الإنسان ما يقوله اللّه ويتلقّى الكشف الإلهيَّ بقلبٍ نقيٍّ ومتواضع. أعطى اللّه إعلانًا ليسوع المسيح ليُريَ عبيده ما هو مزمعٌ أن يقع عمَّا قريب. وقد يقول قائل: "إذًا، فكلُّ ذلك سيقع. لمَ علينا أن نكون على درايةٍ بوقوعه؟ كيف سنُقاوم الأمر؟ قد يأتي غدًا اليوم الذي يبدأون فيه بختم الناس بختم ضدّ المسيح، الرقم 666، وكلُّ مَن لا يحصل على هذا الختم لن يتمكَّن من القيام بأيّ شيء – لا البيع ولا الشِّراء ولا التنقُّل... هذا سيبدأ في كلّ الأحوال. فماذا يُفترض بنا أن نفعل؟ أنُقاتل؟ أنُقاوم؟".

هذا كلُّه سيقع، ولكن يجب ألّا نُطأطئ رؤوسنا ونكونَ كغنمٍ للذَّبح (إشعيا 53: 7)؛ يجب ألّا نقبل بهذا كلِّه من دون اكتراث. جميعُنا مسؤولون عن أنفسنا، ومن المهمّ لنا أن نحفظَ ضميرنا، وألّا نقبل بما هو غير صالحٍ وفقًا لتعليم الإنجيل المقدّس والكتاب المقدَّس. إنّ كون هذا سيحدث حتمًا لا يعني أنَّ علينا قبوله كلَّه بكلِّ بساطة.

وطبعًا هذا لا يعني أنَّ أولئك الذين يتَّخذون إجراءً ما هُم أدواتٌ بين يدَي اللَّه، ولنا في أزمنة الاضطهاد خير مثالٍ على ذلك. فقد وقعت اضطهاداتٌ في القرون الأولى من عُمر الكنيسة: اضطُهِدَ المسيحيّون وعُذِّبَ ملايين الناس خلال القرون الثلاثة الأولى، وقُتِلَ نيرون آلاف المسيحيّين. ولكنَّ قتله الكثير من المسيحيّين وامتلاء الفردوس بالقدّيسين لا يعنيان مطلقًا أنّ نيرون كان أداةً تستخدمُها عناية اللَّه، وأنَّه سيذهب إلى الفردوس. كلّا، لقد ملأَ الفردوسَ بالشُّهداء، ولكنْ هو نفسُه سيذهبُ إلى الجحيم نتيجة قتلهم. إنَّ مَن يعملون أعمالَ إبليس ويرتكبون أفعالًا شرّيرةً ليست من اللَّه لا يتبرَّرون بحجّة أنَّهم يخدمون خلاص الآخرين ويُسهمون في عملِ العناية الإلهيّة.

كثيرون يتساءلون: "علامَ يُلامُ يهوذا؟ ففي نهاية المطاف، سبقَ التنبّؤ بتعرُّض المسيح للخيانة، وقد نفَّذَ يهوذا خطّة اللَّه بدقّة. فبماذا أذنبَ هذا المسكين؟". ولكنَّ الأمر ليس كذلك. لم يقُم يهوذا بذلك لأنَّه كان أمرًا مُخطَّطًا له. ولا معناه أنَّه ما دامَت هذه النبوءة قد دُوِّنَتْ منذ سنواتٍ خلَتْ، فيجب أن تتحقَّق؛ بل بالأحرى، النبوءة مُدوَّنةٌ **لأنَّ** يهوذا خان. لقد سبقَ أن أُخبِرَ بذلك. أُعطيَت النبوءات لأنَّ أحداثًا معيَّنةً ستقع، وليس العكس، أي أنّه إذا كانت هناك نبوءةٌ فلا بُدَّ من أن تتحقَّق. وأولئك الّذين يشاركون في ما سبقَ الإنباء به ويرتكبونه يتحمَّلون مسؤوليّةً كاملةً عن أفعالهم. أولئك الّذين سيُدمِّرون الكونَ غدًا ويدفعون بهذا العالم نحو نهايته سيكونون مسؤولين عن ذلك. لا يمكن القول إنَّهم تمَّموا مُخطَّط اللَّه. أنتم مسؤولون عن جرائمكم والشُّرور الّتي ترتكبونها. والأنبياء سبقوا فرأوا ذلك بكلّ بساطة.

أريدكم أن تكونوا فطِنين في فهم ما يختصُّ بنبوءات اللَّه. لا يحدِّدُ اللَّه ما سيحصل؛ بل بالأحرى، بما أنَّه سيحصل، فإنَّ اللَّه يسبقُ فيُخبِر الناسَ به ليمنعهم من اتِّباعه ويحميَهُم. حاولَ المسيح إيقاف يهوذا عدَّة مرّاتٍ عن ارتكاب هذا الشرّ، كما نعلَمُ من الإنجيل، لكنَّ يهوذا أراد فعل ذلك. إنَّه مسؤولٌ عن هذا وعن كيفيَّةِ إنهائه لحياته.

إذًا، إنَّ القول "لا بدَّ أن يكون عن قريب" (رؤيا 1: 1) يعني أنَّ هذا سيقع، ولهذا كُتِبَ عنه. إلّا أنّ الّذين سيُشاركون في ارتكاب هذا الشرّ سوف يتحمَّلون كامل المسؤوليّة.

"عن قريب": ما معنى هذا؟ هل سيحدث كلُّ شيءٍ في غضون يومٍ واحد؟ علينا أن نعيَ أنَّ اللَّه خارج الزمن، وأنَّ أحداثَ سفر الرؤيا لا تتعلّقُ بالأزمنة الأخيرة فحسب. يُصوِّرُ السِّفر أحداثًا كانت قد وقعَتْ بالفعل عندما

قام القدّيس يوحنّا الرسول بوصفها، ويصوِّر أحداثًا ستقع لاحقًا. لطالما عاشت الكنيسة على رجاء القيامة من بين الأموات في اليوم الأخير. وسنقرأ [لاحقًا في هذا السِّفر]: "تعالَ أيُّها الربُّ يسوع" (رؤيا 22: 20). تحيا الكنيسة على رجاء مجيء المسيح، رجاء مجيء ملكوت اللّه. ونقول في صلواتنا: "ليأتِ ملكوتك" (لوقا 11: 2). ونطلب ملكوت اللّه داخل قلوبنا كما بصورةٍ عامة. كلُّ شخصٍ في الكنيسة ينتظر مجيء ملكوت اللّه، وموعد حدوث هذا ليس معروفًا. ومهما بذلنا من جهدٍ لمعرفة المواقيت النهائيّة، فلن ينفع ذلك؛ لن يُخبرنا اللّه بها مطلقًا، لأنَّه لا يريد التصرُّف وفقًا للفضول البشريّ، بل بطريقةٍ مختلفةٍ تمامًا.

"وبيَّنَه مُرسِلًا بيدِ ملاكِه لعبدِه يوحنّا" (رؤيا 1: 1). أظهرَ اللّه هذا كلَّه لعبدِه يوحنّا من خلال ملاك. كان يوحنّا خادمًا أمينًا للّه، خادمًا متواضعًا ونقيًّا وبلا لومٍ، ويتمتّع بكلِّ ما هو ضروريٌّ لكي يتلقَّى المرء رؤيا إلهيَّة. "الّذي شهدَ بكلمةِ اللّه وبشهادةِ يسوعَ المسيحِ بكلِّ ما رآه" (رؤيا 1: 2). شهِدَ الرسول والإنجيليُّ يوحنَّا بما رآه، وبما شعر به، وبما اختبره مع المسيح وعن كلمة اللّه.

ثمَّ يقول: "طوبى للّذي يقرأُ وللّذين يسمعون أقوالَ النبوَّةِ ويحفظون ما هو مكتوبٌ فيها لأنَّ الوقتَ قريب" (رؤيا 1: 3). هذا يعني أنَّ سفر الرؤيا دُوِّنَ ليقرأه الناس. "طوبى للّذي يقرأ". مغبوطون وفرحون أولئك الّذين يقرأون سفر الرؤيا والكتاب المقدّس ويدرسونه، وأولئك الّذين يُصغون إلى التعليم وتفسير أقوال هذه النبوءة. وبالتالي، لا ضَير في قراءة النبوءة، يكفي أن نقوم بذلك بطريقةٍ صحيحة: بروح الاتّضاع والتلمذة، بناءً على تفاسير آباء الكنيسة القدّيسين، وبغايةٍ واحدةٍ هي حفظُ ما هو مكتوبٌ في السِّفر. لا ينبغي أن نقرأ بغرضِ إرضاء فضولنا، كالناس الذين يحبّون قراءة الأبراج ليعرفوا ماذا عليهم أن يفعلوا اليوم وغدًا. بعضُ الناس، وهم في الغالب أناسٌ جدّيّون في الحياة، لا يستطيعون العيش من دون قراءة برجهم. إنَّه لأمرٌ جديرٌ بالاهتمام كيف أنَّ الصُّحف المختلفة تكتب عن الأبراج أمورًا متباينةً ولا تتّفق في ما بينها، وعليكم أن تختاروا أيَّة واحدةٍ تقرأون. هذا هراء!

"لأنَّ الوقتَ قريب". قد تقولون: "يا أبانا، قد مضَتْ ألفا سنةٍ إلى الآن ولم تحُلَّ النهاية". بالطبع، لم تأتِ النهاية بعد، وقد تمضي ألفا سنةٍ أخرى ولا تأتي، ولكن من المؤكَّد تمامًا أنّها ستأتي. أكان ذلك بعد خمس أو عشر سنين أو مائة ألف سنة، إنّها ستأتي. لا شكَّ في ذلك. قد لا تعيشون إلى ذلك الحين، ولكن ستأتي ساعةٌ تغادرون فيها هذا العالم. لذا فمن الضروريّ أن تقرأوا ما هو مكتوبٌ في سفر الرؤيا وتحفظوه، لا لأنَّكم ستُعاينون ذاك اليوم بشكلٍ شخصيٍّ بالضرورة. سيعيشُ البعض ليَروا ضدَّ المسيح ويلتقوا به، ويُعاينوا كلَّ ما هو

مكتوبٌ في السِّفر. وأمَّا نحن الّذين لن نعيشَ في تلك الأزمنة على الأرجح، فلا بدَّ من أن نختبر أحداثًا مختلفةً كلَّ يوم، وأن نُميّز منها ما هو مِن روح ضدِّ المسيح، وما هو ناتجٌ من كسر الوصايا، ومن الخطايا، ومن إنكار اللَّه. تجري حولنا أحداثٌ كثيرةٌ تتحدّانا وتدفعُنا إلى عصيان وصايا اللَّه.

حين نبلغ نهاية حياتنا، أي نهايتنا البيولوجيّة، سنجِدُ أنفسَنا في مواجهة كلِّ ما فعلناه وفكَّرنا فيه. لسوء الحظّ (أو ربّما لحُسن الحظّ)، سواءٌ أشئنا ذلك أم أبَينا، فإنّ لحياتنا حدُّها... نهايتها. وسنبلغ هذه النهاية في يومٍ من الأيّام. أحيانًا، يحصل ذلك مُبكرًا؛ وأحيانًا أخرى، يحصلُ في وقتٍ لاحق، لكنّ النهاية ستأتي في الحالتين كلتيهما. "لأنّ الوقت قريب". يمكن أن يُحاجج المرءُ بأنَّنا لن نعيش لنرى ضدَّ المسيح، لكنَّ ساعة مغادرتنا هذه الحياة ستأتي، حين سنمثُلُ أمام اللَّه ونرى ما فعلناهُ وما لم نفعله. يجب ألّا نعيش في خوفٍ وضيق. لم يُكتب سفر الرؤيا والإنجيل لترهيبِنا وإرغامنا على الإيمان باللَّه خوفًا. ومن الخطأ أن نؤمن باللَّه من منطلق الخوف. كُتبت الأسفار لكي نحبَّ اللَّه ونؤمن به حقًّا بمحبّة، لأنَّنا نرى في تلك الأسفار كيف أن اللَّه يحبُّ العالم، وأنَّه أعدَّ لنا أن نحيا معه في الأبديّة. يدعونا اللَّه إلى الملكوت الأبديّ وإلى المجيء الأبديّ لمحبَّته.

نقلتها إلى العربيّة أسرة التراث الأرثوذكسيّ

Source: Metropolitan Athanasios of Limassol (2024). For the Time is at Hand. *Revelation: Removing the Veil,* Part 2B. Retrieved online from: *OrthoChristian*.

الطريقة الأرثوذكسيّة الحقيقيّة الوحيدة لمواجهة البِدَع التي تُهدّد إيماننا

الأرشمندريت نيكن من الجبل المقدّس

نحتفلُ اليوم بتذكار المجمع المسكونيّ الأوّل للآباء الـ 318 القدّيسين. انعقد المجمع عام 325 لمحاربة هرطقة آريوس الذي قال إنَّ المسيح ليس الله بل خليقة الله. علينا دائمًا أن نتمثّل بالقدّيسين، بحسب ما يحثُّنا عليه بولس الرسول: "كونوا متمثّلين بي كما أنا أيضًا بالمسيح" (1 كورنثوس 11: 1). وفي نهاية المطاف، كلُّ ما نقوم به يعود إلى الربِّ نفسه.

وكيف نتمثَّل بالقدّيسين؟ نفعل ما فعلوه. سندافع عن إيماننا عندما يستلزم الأمر ذلك، تمامًا كما دافعوا هم عنه. ولكن علينا توخّي الحذر، لأنّنا في كثيرٍ من الأحيان، ندافعُ عن الإيمان بطريقةٍ خاطئةٍ ولا تكون النتيجة في النهاية كما نشتهي. لقد أعطانا الآباء القدّيسون نموذجًا وعلينا الاقتداء بأعمالهم وحياتهم. نحن نتحمّسُ لكوننا أرثوذكسيّين، ونسارعُ إلى محاربة كلّ ما هو هرطوقيّ أو فيه ضلال. المشكلة أنَّه كثيرًا ما لا يكون الموضوع بدعة، وكثيرًا ما لا يكون ضلالة، ولكنَّنا نظنُّه كذلك. يقول القدّيس باسيليوس الكبير في كتابه "القوانين المطوَّلة" إنَّه حتّى ولو كنّا متأكّدين من أنَّ موضوعًا ما هو هرطقة، يجب ألّا نهاجم الهرطوقيّ. انتبهوا إلى ذلك. حتّى الهرطقة بحدّ ذاتها يجب أن ننتقدها بحذرٍ شديد، ولكن لا ننتقدَنَّ الهراطقة. لماذا؟ لأنّ القدّيس باسيليوس نفسه يقول إنَّكم قد تظنّون أنّها هرطقة، وأنّ الشخص الآخر هرطوقيّ، لكنّ الحال قد لا تكون كذلك. يقول القدّيس باسيليوس إنَّ المجمع المقدَّس هو مَن يقرّر في شؤونٍ كهذه، وليس الأفراد.

إذاً، أينبغي لنا ألّا نعترض عندما نرى أمرًا خاطئًا وغير صحيح، إلى أن ينعقد مجمع؟ بالطبع علينا أن نعترض.

سنحتجُّ على الخطأ وعلى ما هو غير صحيح، وسنوضحُ ماهيّة الخطأ وما هو غير صحيح باستخدام كلّ الوسائل والحجج المتاحة لنا. ولكنْ، لا نحتجُّ على الشخص المخطئ، ولا على الشخص الّذي نظنُّ أنّه لا يقول الصَّواب. نقول إنّه ينبغي لنا أن نُحبّ. انتبهوا، المحبّة لا تعني دائمًا أن نصمت. انتبهوا، تتوجّه المحبّة إلى الأشخاص لا إلى أفكارهم أو فلسفاتهم. أمّا أفكارهم وفلسفاتهم الخاطئة، فإنّنا نُصحّحها، ونقوم بكلّ ما

في وسعنا لكي يفهم الناس أنّها خاطئة. هذه الأفكار والفلسفات هي ما سنقوم بمهاجمته -وأقول ذلك مجازيًّا- وأمّا الشخص الّذي تكلّم بما هو خاطئٌ فلا نُهاجمه، بل نهاجم ما قاله.

وله شخصيًّا، سنُصلّي أكثر، سنُصلّي مسبحةً إضافيّة، وسنقوم بسجدةٍ إضافيّة لكي ينيره الإله الصالح ويخلّصه. والله يعرف كيف يخاطبُ كلَّ واحد. نحن نندفع، وفي نهاية الأمر، تصبح الطريقة التي ندافع فيها عن إيماننا مثيرةً للسُّخرية. وبدلاً من أن يكون إيماننا مهدّدًا من قِبَل مَن نعتقد أنّه يقول أشياء خاطئة، يصير مهدّدًا منّا نحن، لأنّنا نجعل الإيمان مثيرًا للسُّخرية بالطريقة التي ندافع بها عنه. والأمثلة على ذلك كثيرة.

قال أحدهم: "ولكنَّ القديس نيقولاوس صفعَ آريوس في المجمع المسكونيّ الأوّل". انتبهوا، هذا تقليدٌ تقويٌّ جدًّا، هو ليس تقليدًا تاريخيًّا، ولكنّه صحيحٌ من ناحية أنّه يجب علينا الدفاع عن إيماننا. وهذا التقليدُ محفوظٌ بحقٍّ. ولكن إذا ما أردنا أن نفعل المثل، فعلينا أوّلًا أن نصير قدّيسين مثل القدّيس نيقولاوس، ومن ثمَّ نضرب الهراطقة. فبسبب الأهواء الّتي تُعمينا والجهل الّذي نحن فيه، إذا ما بدأنا بضربِ الناس الواحد تلو الآخر، فلن يبقى أحدٌ لم يتلقَّ صفعة. في الواقع، نحن صارمون تجاه الآخرين، لكنَّنا متساهلون للغاية مع أنفسنا. فلنُصبحْ قدّيسين أوّلًا، ثمَّ نفعل ما فعله القدّيس.

يقولون لي إنَّ القديس أنطونيوس الكبير أيضًا قد شاركَ في الاحتجاجات في مصر ضدّ الهراطقة. لا اعتراضَ على ذلك. صيروا أوّلًا كالقدّيس أنطونيوس، ثمَّ افعلوا أيَّ شيءٍ ممّا فعله. حاربَ القدّيسان يوحنّا الذهبيّ الفم وباسيليوس الكبير الهرطقات. هذا صحيحٌ تمامًا، وعليكم القيام بالمثل. ولكن ضارِعوا أوّلًا الأتعاب النُّسكيّة الّتي بذلَها هذان القدّيسان في كهوف البنطس، لتصبحوا ما أصبحا عليه. إنّنا نحاول أن نفعل ما فعل القدّيسون مِن دون أن نكون قد صِرنا ما صاروا عليه.

والخطأ الثاني الّذي نقعُ فيه هو التالي. لا يختار الشيطان أشخاصًا عديمي الأهمّيّة ليقوموا بعمله، بل يختار أناسًا يتمتّعون بالعديد من المواهب، بل وأناسًا من داخل الكنيسة. تمتّع آريوس بمواهب عدّة. كان شديدَ التقوى، وكان موسيقيًّا، فألَّفَ أغانٍ موزونةً دسَّ فيها كلمات هرطقته، مثلًا دسّها في أغاني المطحنة (Epimilia). ففي تلك الأيّام، كانت النساء يطحنَّ القمحَ بوضع حجرٍ مستديرٍ في داخل وعاءٍ حجريّ مجوَّفٍ مستدير. كنَّ يضعنَ القمح، ويُدرنَ الحجر بحركةٍ إيقاعيّةٍ وهنَّ يُغنّين تلك الأغاني. فركّب آريوس هرطقاته على هذه الألحان.

لا يمكننا مجاراةُ هؤلاء، مجاراة الآريوسيّين عبر العصور، لأنّهم أشخاصٌ موهوبون ويتمتّعون بقدرٍ هائلٍ من المعرفة. ولهذا السبب تحديدًا تكون ردودُ أفعال الكثير من المسيحيّين الأرثوذكسيّين المعاصرين مثيرةً للسُّخرية. يحاربون أناسًا واسعي المعرفة، بينما هم أنفسهم لا يعلمون ما الّذي يقولونه. ولكي يدعموا ما يقولونه، يكرّرون أيَّ شيءٍ قد سمعوه في موضعٍ آخر، مُحرّفين إيّاه ليتلاءم مع أغراضهم ورغباتهم. "فلان قال كذا وكذا"... يقومون بنسخ الكلام ولصقه. "فلان قال كذا وكذا، لذا علينا اتّباعه أيضًا"، هذه حججٌ مثيرةٌ للسُّخرية لأنَّ مَن يقولونها هم أناسٌ تافهون.

لا تكفي النوايا الحسَنة. لسنا نملك المعرفة اللاهوتيّة التي امتلكها أولئك [الهراطقة]. فماذا علينا أن نفعل؟ كيف نحارب بدعةً أو أيّة ضلالةٍ نظنُّها موجودة - أو ربَّما هي موجودةٌ بالفعل؟

نحاربها بغاية البساطة. فلندع الّذين يتمتّعون منا بالمعرفة عن أولئك اللاهوتيّين الهراطقة الاستثنائيّين يواجهونهم بالحُجج اللاهوتيّة، كونهم هم أنفسهم لاهوتيّين. أمّا نحن الناس العاديّين –ملايين الناس العاديّين– فكيف نواجه بدعةً ما؟ عددٌ لا حصر له من القدّيسين يُقدّمون لنا مثالًا في ذلك. فلنبدأ بأمرٍ أساسيّ قاله القدّيس إسحق السريانيّ: "بكّتوا أولئك الّذين يعارضون تعاليمكم بقوّة فضائلكم وليس بمعقوليّة كلامكم". بكّتوا الآخرين بقوّة فضائلكم لا بحُججٍ تشبه حججَ المحامين. وهكذا نتعلّم الدرس.

هل نريد أن تُنقَذَ الأرثوذكسيّة؟ إذًا فلنصبح قدّيسين. مَن قال لكم إنّ قدّيسًا غير متعلّمٍ لا يتكلّم في المواضيع اللاهوتيّة ولا ينقذ الأرثوذكسيّة؟ إنّنا لا نُنقذ الأرثوذكسيّة بالكلام. لسنا أرثوذكسيّين بغرض أن نُنقذ الكنيسة، بل نحن في الكنيسة لكي نُخلّص أنفسنا، ولكي نصبح نحن أنفسنا أرثوذكسيّين. حين نصبح أرثوذكسيّين، حينها ستكون حياتنا بذاتها جوابًا صارخًا حتّى من دون أن نتكلّم.

يُعبّر القدّيسون عن ذلك على نحوٍ جميلٍ أيضًا: "الكلام من دون حياةٍ يكون أبكم. والحياة من دون كلامٍ تكون مثالًا صارخًا". حين لا تكون حياتكم منسجمةً مع ما تقولون، فإنَّ كلامكم لا يعبّر عن شيء. يكون كلامًا فارغًا. وأمّا حياتكم، فلو كانت من دون كلماتٍ، فهي تُمثّل مثالًا صارخًا. هل تريدون أمثلةً على ذلك؟

يوجد آلاف القدّيسين الذين ليسوا بلاهوتيّين عُظماء كالقدّيس أثناسيوس الكبير. آلاف القدّيسين، جميع القدّيسن المعاصرين، أحدث القدّيسين الّذين أعلنت الكنيسة قداستهم، نالوا جميعًا تعليمًا أساسيًّا فقط. ما معنى ذلك؟ أيعني ذلك أنّهم لا يدافعون عن الأرثوذكسيّة لمجرّد أنّهم لا يخرجون في احتجاجاتٍ في

الشوارع؟ ألأنّهم لا يتّهمون الكهنة والأساقفة والبطاركة؟ إنّهم يدافعون عن الأرثوذكسيّة بالفعل بمِثالهم وحياتهم.

هؤلاء قد أظهَروا ما هي الأرثوذكسيّة. وحين نُسأَلُ عن ماهيّة الأرثوذكسيّة، سنُشير إلى القدّيس باييسيوس. سنُشير إلى القدّيس يعقوب تساليكيس، وإلى المعادل للرسل أفرام أريزونا الفيلوثييتي. سنُشير إلى القدّيس بورفيريوس. هؤلاء لم يهاجموا أيّ كاهن. لم يهاجموا أيّ متروبوليت. لم يهاجموا أيّ بطريرك. لا يعني ذلك أنّهم كانوا موافقين على أخطائهم، بل كانوا يعرفون كيف يُصحّحونهم: بحياتهم، بالعمل الّذي خلّفوه وراءهم.

لهذا السبب تحديدًا، يُنقِذُ القدّيسون الأرثوذكسيّة حتّى بعد رقادهم. ماذا قال الربّ؟ "حتّى لو سكتُّ فالحجارة ستصرخ" (راجع لوقا 19: 40). حتّى لو لم أتكلّم، فالحجارة هي ستصرخ مُعلنةً أنّ ما قلتُه صحيح.

ألم يتكلّم الشيخ أفرام (أريزونا)؟ إنّ الأديار التي تفوق الثلاثين التي أسّسها وملأها بالرهبان والراهبات هي تصرخ. هو صامت لكنّ الحجارة تصرخ أنّ حقيقة الشيخ أفرام الفيلوثييتي (أريزونا)، وباييسيوس وبورفيريوس، هي الإيمان الأرثوذكسيّ.

إذًا، هل نريد إنقاذ الأرثوذكسيّة؟ فلنبدأ بأنفسنا، لا بالآخرين. الأمور في غاية البساطة، لذا دعونا لا ندّعي عدمَ الفهم. وكما يقول قدّيسُنا سيرافيم ساروف: "خلِّصْ نفسكَ، وآلاف الناس من حولك سيخلُصون". وبالتالي، إذا كنّا نحبُّ آلافَ الناس المحيطين بنا، فلنبدأ بأنفسنا.

"ربّي يسوع المسيح ارحمني". [فلنشارك] في أسرار الكنيسة، لا تنأوا بأنفسكم عن كهنتكم وأساقفتكم وكنيستكم. لا يوجد خلاصٌ خارج الكنيسة. أصلّي أن نفعل هذا جميعُنا - وأنا أوّلكم وأكثر واحدٍ بينكم. أرجوكم صلُّوا. فلتساندكُم العذراء مريم.

نقلتها إلى العربيّة أسرة التراث الأرثوذكسيّ

Source: Elder Nikon of Mount Athos (2026), *The Only True Orthodox Manner of Opposing the Heresies that Imperil our Faith through the Centuries.* Transcribed from YouTube video.

الأيّام الأخيرة للقدّيس صفروني ورقاده

الأرشمندريت زخريا (زاخارو)

س: هل يمكنكَ أن تخبرنا عن آخر أيّام الأب صفروني؟

ج: لا أعلم ماذا أقول. لقد كان "رجل الله"، وكان كيانه كلُّه مستغرقًا في الله حتّى آخر أيّامه. وبما أنّه كان نبيلًا ولطيفًا للغاية، فعندما كان يُكلّمنا بالروسيّة أو اليونانيّة، لم يكن يخاطبنا بصيغة المفرد مطلقًا، بل دائمًا بصيغة الجمع. كان حازمًا معنا عندما يلمح فينا كبرياء، لأنّه كان يعلم أنّه إن لم "يقوّمْنا" فسنسقط. في ما عدا ذلك، كان مُحبًّا جدًّا وعطوفًا. كنّا نذهب إليه ونُتعبه، ولا سيّما أنا، إذ كانت لديّ أسئلةٌ كثيرة. وعندما كان يتعب، ولكي يُفهِمنا أنّ تكلّمنا بما يكفي، كان يُنشِدُ أهجوزةً لطيفةً بالروسيّة تشبه القصيدة:

«اسمحوا لي بأن أشكركم، وأُعربَ عن امتناني ورِضا قلبي، وأنصرف».

قبل أسبوعَين من رقاده، فيما كان يرافقني نحو باب بيته، نظر نحو المدفن[1] وسأل: "كم من الوقت يلزمُ بعد لكي ينتهي؟". فأجبتُه: "أسبوعان آخران، على ما أظنُّ". فقال: "يصعبُ عليّ الانتظار ولو لساعةٍ واحدة؛ لقد قلتُ كلَّ شيءٍ للربّ، والآن ينبغي لي أن أرحل". كم هو رائعٌ أن يشعر المرء في قلبه بأنّه قد خاطبَ الربَّ في كلّ شيء، ولم يتبقَّ سوى الأبديّة، وأنّه مستعدٌّ للرحيل.

ذهبتُ لرؤيته مرّةً أخرى، قبل أسبوعٍ من رقاده. وكان مستلقيًا على السَّرير، في حين أنّه كان في الأيّام السَّابقة يجلس كعادته في كرسيّه ذي الذراعَين. سألني: "هل كتبتَ الكتاب الّذي طلبتُ منكَ أن تكتبه؟". وكان قد طلبَ منّي أن أكتب كتابًا لم أتمكّن من إصداره إلّا في الصيف الماضي. فأخبرتُه بأنّني كتبتُ فصلَين، وشرحتُ له محتواهما. فقال: "يجب أن تضعهما في البداية"، ثمّ أردف: "سأخبركَ بالنقاط الأربع المركزيّة في نظريّتي عن الشَّخص". وبسّطَ لي بإيجازٍ نظريّته الكاملة عن «المبدأ الأقنوميّ»، كما يُسمّيه. كانت تقعُ في

[1] مدفن الدير الواقع تحت الأرض، والموجود تمامًا في مواجهة الباب الخارجيّ لبيته. هناك سنُدفن جميعنا، وبطبيعة الحال، كان الشيخ صفروني سيكون أوّلنا. في ذلك الوقت، كنّا لا نزال نبنيه؛ كانت الجدران والسقف جاهزة، لكن لم تكن الأرضيّة قد أنجزت بعد.

نحو صفحةٍ واحدةٍ ولكنّها كانت مكثّفةً جدًّا – في أربع نقاط. وأخذَ يُرشدني إلى كيفيّة مواصلة كتابة الكتاب.

قبل أربعة أيّامٍ من رقاده، أغمضَ عينيه ولم يعُدْ يكلّمنا. لم يكن وجهُه حزينًا البتّة، بل كان مُشرقًا ومفعَمًا بالحياة. وكانت تعابير وجهه عينها الّتي كانت تظهرُ عندما كان يقيم القدّاس الإلهيّ. قبل أسبوعَين أو ثلاثة من رقاده، دعا جميع الإخوة، واحدًا واحدًا، ليذهبوا ويجلسوا معه في مطبخه نحو ساعة، ليتحدّثوا معه للمرّة الأخيرة. وكنّا نحن الآباء الّذين نملك مفتاحَ بيته نذهبُ لزيارته بانتظام. كنّا ندخل ونقول: "باركْ أيّها الشيخ". فلم يكن يفتح عينيه أو ينطق بكلمة، لكنّه كان يرفعُ يده ويباركنا. كان يباركنا من دون كلام، وفهِمنا أنّه راحل. ولذلك، لم أعُدْ أرغب أنا شخصيًّا في استبقائه. فقبلَ ذلك، كنتُ أُصلّي أن يُطيل الله عمره، كما نقول في قدّاس القدّيس باسيليوس الكبير: "شدِّد الشُّيوخ". ولكن في تلك الأيّام، رأيتُ أنه ماضٍ، فبدأتُ أُصلّي مُستخدمًا كلمات الرسول بطرس: "يا ربُّ، هبْ لعبدكَ دخولًا رحبًا إلى ملكوتك، وأقمْ نفسَه مع آبائه"[2]، وأذكرُ جميع رفاقه في النُّسك الّذين علمتُ أنّهم كانوا معًا في الجبل المقدّس، بدءًا بالقدّيس سلوان ثمّ بقيّة الآخرين.

في اليوم الأخير، ذهبتُ لرؤيته في السادسة صباحًا. كان يومَ أحدٍ وكنتُ سأقيم القدّاس الإلهيّ المبكر، وسيُقيم الأب كيريل والكهنة الآخرون القدّاس الثاني.[3] أدركتُ أنّه سيُغادرنا في ذلك اليوم. بدأتُ خدمة التقدمة، ثمّ بدأت خدمة السَّاعات عند السَّابعة وتلاها القدّاس الإلهيّ. خلال القدّاس، كنتُ أصلّي باستمرار: "يا ربُّ هبْ لعبدكَ دخولًا رحبًا إلى ملكوتك الأبديّ". وكان ذلك القدّاس مختلفًا عن كلّ القداديس الأخرى. وفي اللَّحظة التي قلتُ فيها: "القدُسات للقدّيسين"، دخلَ الأب كيريل فجأةً إلى الهيكل. نظرنا الواحد إلى الآخر، وكان التأثُّر باديًا عليه، فعلمتُ أنّ الشيخ صفروني قد رحل. عندما سألتُ عن وقت وفاته، أدركتُ أنّه كان وقت تلاوتي الإنجيل. تنحّيتُ جانبًا لأنّ الأب كيريل أراد التحدُّث إليّ، فقال لي: "تناولْ وناوِلِ المؤمنين، ثمّ أعلِنْ رحيل الأب صفروني وأقمْ صلاة التريصاجيون الأولى، وأنا سأفعلُ الأمر عينه في القدّاس الثاني". فجزّأتُ الحمل، وتناولت وناولتُ المؤمنين، وأنهيتُ القدّاس (لا أعلم كيف استطعتُ ذلك). ثمّ خرجتُ وقلتُ للناس:

[2] راجع 2بط 1: 11.

[3] لدواعٍ عمليّة، كنا آنذاك نقيم في أيّام الآحاد قدّاسين في ديرنا؛ الأوّل عند السابعة صباحًا، والثاني عند العاشرة والربع.

"يا إخوتي الأحبّاء، إنّ المسيح إلهنا هو آية الله لجميع أجيال هذا الدّهر، لأنّنا نجدُ في كلامه الخلاصَ والحلَّ لكلّ مشكلةٍ بشريّة. إلّا أنّ قدّيسي الله جميعًا هم أيضًا آيةٌ لجيلهم، وقد أعطانا الله أبًا كهذا في شخصِ الشيخ صفروني، إذ وجدْنا في كلامه الحلّ لجميع مشكلاتنا. والآن، يجب أن نفعل ما يعلّمنا إيّاه القدّاس الإلهيّ، أي "أن نشكر"، و"نتضرّع"، و"نبتهل". إذًا، فلنشكُرِ الله الّذي منحَنا أبًا كهذا، ولنُصلِّ من أجل راحة نفسه. تباركَ الله إلهنا..."

وبدأتُ خدمة التريصاجيون.

سجَّيناه في الكنيسة مدّة أربعة أيّامٍ لأنّ المدفن لم يكن قد اكتملَ بعد، ولم يكن القبر قد بُنيَ. قرأنا بتواصلٍ الأناجيلَ المقدّسة من أوّلها إلى آخرها، وكرّرنا ذلك، كما جرت العادة عند رُقاد الكهنة. قرأنا الأناجيل المقدّسة وأقمنا صلوات التريصاجيون وغيرها من الصلوات. وأقمنا الخدم والقداديس، وكان هو هناك في وسطِ الكنيسة مدّة أربعة أيّام (كان الجوّ يماثِلُ الفصح حقًّا، جوّ جميل ومبارَك). لم يُصَبْ أحدٌ بالهستيريا، بل سادَ سلامٌ تامّ. وكنّا جميعنا نُصلّي بإلهامٍ روحيٍّ عميق. جاء أحدُ أصدقاء الدير (سيمَ أسقفًا لاحقًا) فور سماعه برقاد الشيخ صفروني، وشعر بالجوّ فقال لي: "إذا لم يكن الأب صفروني قدّيسًا فلا وجود للقدّيسين إذًا!". وصادفَ أن كان عندنا رهبانٌ من الجبل المقدّس قد جاؤوا لرؤية القدّيس صفروني، لكنّهم لم يجدوه حيًّا. كان أحدُهم الأب تيخن من دير السيمونوبترا.

في كلّ مرّةٍ كان يقصد فيها أشخاصٌ يونانيّون إنكلترا لدواعٍ طبيّة، كانوا يأتون إلى الدير ليقرأ لهم الأب صفروني صلاةً لأنّ الكثيرين كانوا يبرأون. ويُخبرون كلُّهم بأمورٍ كهذه، حتّى إنّ اثنين منهم شيّدا، بدافع الامتنان، كنيسةً في اليونان على اسم القدّيس سلوان. في اليوم الثالث أو الرابع من رقاد الأب صفروني، جاءت عائلةٌ برفقة صبيٍّ في الثالثة عشرة من عمره، كان لديه ورمٌ في الدماغ وموعد عمليّته في النهار التالي. فجاءني الأب تيخن السيمونوبيتريتيّ وقال لي: "هؤلاء الناس حزينون جدًّا، وجاؤوا ولم يجدوا الأب صفروني. لمَ لا تقرأ بعض الصلوات للصبيّ؟". فأجبتُه: "فلنذهبْ معًا. تعالَ معي لتؤدّي دور القارئ. سوف نقرأ بعض الصلوات في الكنيسة المجاورة". ذهبنا وقرأنا بعض الصلوات للصبيّ، وفي النهاية قالَ لي الأب تيخن: "لمَ لا تجعل الصبيّ يمرُّ تحت نعش الشيخ صفروني؟ سوف يُشفى. نحن نُضيّعُ وقتنا في قراءة الصلوات". فأجبتُه بأنّني لا أستطيع فعل ذلك لأنّ الناس سيقولون إنّه ما إن ماتَ حتّى أخذنا نُروّج لقداسته. وأردفتُ: "افعلْ ذلك أنتَ. أنتَ

راهبٌ آثوسيّ، ولن يتجرّأ أحدٌ على قولِ شيء". فأخذ الصبيّ بيده وجعله يمرُّ تحت النعش. وفي اليوم التالي، أجروا له العمليّة فلم يجد الأطبّاءُ شيئًا. فأغلَقوا رأسه وقالوا: "تشخيصٌ خاطئ. لا بدّ من أنّه كان التهابًا". وكان يرافق الصبيّ طبيبٌ من اليونان، وكانت بحوزته الصورة الشُّعاعيّة التي تُظهر الورم بوضوح، فقال لهم: "نحن نعلمُ جيّدًا ما يعنيه هذا التشخيص الخاطئ". وفي الأسبوع التالي، جاءت إلى الدَّير عائلةُ الصبيّ كلّها، وكانت من تسالونيكي، لتُقدّم الشُّكر للشيخ صفروني عند قبره. حدثَ هذا فورًا بعد رقاد الشيخ. سامِحوني لقد أطلتُ الكلام أكثر ممّا ينبغي.

نقلتها إلى العربيّة أسرة التراث الأرثوذكسيّ

Source: Archimandrite Zacharias Zacharou (2023). The Last Days and the Repose of Saint Sophrony, extract from the book *The Enlargement of the Heart*. Stavropegic Monastery of Saint John the Baptist, Essex, UK. Retrieved online from *Essex Monastery.*